علمتني الحياة..

الكاتب : محمد مصطفى حمام

التاريخ : 8 فبراير 2015 م

المشاهدات : 8014

علَّمتني الحياةُ أن أتلقّى

كلَّ ألوانها رضاً وقبولا

ورأيتُ الرِّضا يخفِّف أثقالي

ويُلقي على المآسي سُدولا

والذي أُلهم الرِّضا لا تراه

أبدَ الدهر حاسداً أو عَذولا

أنا راضٍ بكل ما كتب الله

ومُزْجٍ إليه حَمْداً جَزيلا

أنا راضٍ بكل صِنفٍ من الناسِ

لئيماً ألفيتُه أو نبيلا

لستُ أخشى من اللئيم أذاه

لا، ولن أسألَ النبيلَ فتيلا

فسح الله في فؤادي فلا أرضى

من الحبِّ والوداد بديلا

في فؤادي لكل ضيف مكان

فكُنِ الضيفَ مؤنساً أوثقيلا

ضلَّ من يحسب الرضا عن هَوان

أو يراه على النِّفاق دليلا

فالرضا نعمةٌ من الله لم يسعد

بـهـا في العباد إلا القليلا

والـرضـا آيـةُ البراءة والإيـمـان

بالله نـاصـراً ووكـيلا

عـلـمـتني الحياةُ أنَّ لها طعـمَـيـن

مُـراً، وسائغاً معسولا

فـتـعـوَّدتُ حـالَـتَـيْها قريرا

وألـفـتُ الـتـغـيير والتبديلا

أيـهـا الـنـاس كلُّنا شاربُ الكأسَـيـن

إنْ عـلقماً وإنْ سلسبيلا

نـحـن كالرّوض نُضْرة وذُبولا

نـحـن كـالـنَّجم مَطلعَاً وأُفولا

نـحـن كـالـريح ثورة وسكونا

نـحـن كالمُزن مُمسكاً وهطولا

نـحـن كـالـظنِّ صادقاً وكذوبا

نـحـن كـالحظِّ منصفاً وخذولا

قـد تسـرِّي الحياةُ عني فتبدي

سـخـريـاتِ الورى قَبيلاً قَبيلا

فـأراهـا مـواعـظـاً ودروسا

ويـراهـا سـواي خَـطْباً جليلا

أمـعـن الناس في مخادعة النّفـسِ

وضـلُّوا بصائراً وعقولا

عـبـدوا الـجاه والنُّضار وعَينا

مـن عـيـون المَهَا وخدّاً أسيلا

الأديـب الـضـعيف جاهاً ومالا

لـيـس إلا مـثـرثـراً مخبولا

والـعـتـلُّ الـقويُّ جاهاً ومالا

هـو أهـدى هُـدَى وأقـومُ قيلا

وإذا غـادة تـجـلّـت عـليهم

خـشـعـوا أو تـبـتّلوا تبتيلا

وتَـلـوا سـورة الـهـيام وغنّوهـا

وعـافـوا القرآن والإنجيلا

لا يـريـدون آجلاً من ثواب الله

إنَّ الإنسـان كـان عـجـولا

فـتـنـة عـمّـت المدينة والقريـةَ

لـم تَعْـفِ فتية أو كهولا

وإذا مـا انـبـريتَ للوعظ قالوا

لـسـتَ ربـاً ولا بُعثتَ رسولا

أرأيـت الـذي يـكـذّب بـالديـن

ولا يـرهب الحساب الثقيلا

أكـثـرُ الناس يحكمون على الناس

وهـيـهات أن يكونوا عدولا

فـلـكـم لـقَّبوا البخيل كريما

ولـكـم لـقَّبـوا الكريم بخيلا

ولـكـم أعـطَـوا الملحَّ فأغنَوا

ولـكـم أهملوا العفيفَ الخجولا

ربَّ عـذراء حـرّة وصـمـوها

وبـغـيٍّ قـد صـوّروها بتولا

وقـطـيـعِ الـيدين ظلماً ولص

أشـبـع الـنـاس كـفَّه تقبيلا

وسـجـيـنٍ صَبُّوا عليه نكالا

وسـجـيـنٍ مـدلّلٍ تـدلـيلا

جُـلُّ مـن قـلَّـد الـفرنجة منا

قـد أسـاء الـتـقـليد والتمثيلا

فـأخـذنـا الخبيث منهم ولم نق

بـسِ مـن الـطـيّبات إلا قليلا

يـوم سـنَّ الـفرنج كذبةَ إبريـلَ

غـدا كـل عُـمْـرنا إبريلا

نـشـروا الرجس مجملاً فنشرناهُ

كـتـابـاً مـفـصَّلاً تفصيلا

***

عـلـمتني الحياة أنَّ الهوى سَيْـلٌ

فـمـن ذا الذي يردُّ السيولا

ثـم قالت: والخير في الكون باقبـل

أرى الخيرَ فيه أصلاً أصيلا

إنْ تـرَ الـشـرَ مستفيضاً فهوّن

لا يـحـبُّ الله الـيئوس الملولا

ويـطول الصراع بين النقيضَـيـنِ

ويَـطوي الزمانُ جيلاً فجيلا

وتظـلُّ الأيـام تعرض لونَيْـها

عـلى الناس بُكرةً وأصيلا

فـذلـيـلٌ بالأمس صار عزيزا

وعـزيـزٌ بـالأمس صار ذليلا

ولـقـد يـنـهض العليلُ سليما

ولـقـد يـسـقـطُ السليمُ عليلا

ربَّ جَوعانَ يشتهي فسحة العمـرِ

وشـبـعانَ يستحثُّ الرحيلا

وتظـلُّ الأرحـامُ تـدفع قابيـلاً

فـيُـردي بـبـغـيـه هابيلا

ونـشـيـد الـسـلام يتلوه سفّاحـون

سَـنُّوا الخراب والتقتيلا

وحـقـوق الإنـسان لوحة رسّامٍ

أجـاد الـتـزويـر والتضليلا

صـورٌ مـا سرحتُ بالعين فيها

وبـفـكـري إلا خشيتُ الذهولا

***

قال صحبي: نراك تشكو جروحا

أيـن لـحن الرضا رخيماً جميلا

قـلـت أما جروح نفسي فقد عودْتُـها

بَـلـسَـمَ الرضا لتزولا

غيرَ أنَّ السكوتَ عن جرح قومي

لـيـس إلا الـتـقاعسَ المرذولا

لـسـتُ أرضـى لأمـة أنبتتني

خُـلُـقـاً شـائـهاً وقَدْراً ضئيلا

لـسـتُ أرضى تحاسداً أو شقاقا

لـسـتُ أرضى تخاذلاً أو خمولا

أنـا أبـغي لها الكرامة والمجـدَ

وسـيـفـاً على العدا مسلولا

عـلـمـتني الحياة أني إن عشـتُ

لـنفسي أعِشْ حقيراً هزيلا

عـلـمـتـني الحياةُ أنيَ مهما

أتـعـلَّـمْ فـلا أزالُ جَهولا

مدونة لعشاق الشعر

المصادر: